وضروب الاجبان الفرنسية والانكليزية والسويسرية والدانمركية »(ص ١٩٨ ــ ١٩٩) .

لا نغالي اذا قلنا ان « عامر عبد الحميد » هذا ، في نمط حياته ، هو حسين عبد الجواد وطارق ومريم وسوسن عبد الهادي ووليد مسعود ايضا ، اضافة الى فلسطينيته . كلهم يعيشون هذا النوع من الحياة ، لا بل كل شخصيات الروايات الاخرى تعيشه . وهناك الاستثناء الفلسطيني لجميل فران في « الصيادون »ووديع عساف في « السفينة »ووليد في « البحث » . ان هذا التشابه في الشخصيات وطرائق حياتها هو الذى جعل روايات جبرا ابراهيم جبرا تتشابه ، وهو الذى جعل « البحث ... » كالسفينة ، وجعل وليد كوديع عساف ، وجعل وديع عساف كجميل فران ، هذا ما جعل الروايات تدور ضمن عالم روائي واحد متشابه ، مكرور ؛ ففي « البحث ... » مثل غيرها كلام عن الشرق والغرب ومناقشات ثقافية ومشاهد عشق لاهب وكلام عن التخلف مع تحليل له يكشف اتجاه رؤية الروايات لهذه المشكلة وغيرها .

يحلل د . جواد حسني المجتمع العربي من خلال كلامه عن وليد مسعود كما يلي :

« وبعد حصولي على الدكتوراه ، توثقت العلاقة فيما بيننا اكثر مما مضى ، فتكشفت لي تفاصيل في حياته لا يتحدث عنها الا في ساعات الاسترسال مع اقرب الناس اليه . ووجدتني بعد قليل انخرط في مجتمعه : ادخلني فيه وليد وكأنه يريدني ان اكون مؤرخا له ، وهو يعلم انه هو نفسه في الاصل غريب عنه . لست ادرى كم انسجم هو مع ذلك المجتمع ، الذى لم انسجم انا معه كثيرا لاسبابي الخاصة ، ولو انني ، مع الزمن ، صرت جزءا منه غير انه لم يجعل من ذلك قضية خاصة : فبحكم كونه فلسطينيا ، يستطيع الزعم دائما بأنه يتصل بمجتمع كهذا وينفصل عنه دونما عسر أو ألم ، لأن جذوره الحقيقية في جبال ووديان اخرى تغذية سرا وباستمرار . ولن يزعم ان مجتمعا عشائريا في جوهره ، زراعيا في افضل الاحوال ، غيبيا في معظمها ، لم يدخل المرحلة المدينية الا متأخرا وبعوامل تاريخية اقحمت عليه اقحاما بدخول الانكليز حكاما في بلد ارهقهم وارهقه . لن يزعم ان مجتمعا كهذا ابعد الاندثار الذى حل به لأكثر من خمسة قرون طويلة ، قد ثبت على قاعدة حضارية صلبة بنيت عليها قواعد لاحقة صلبة مثلها . وبانعدام قواعد كهذه ، كان يقول : من السخف ان نتصور المدينة ومجتمعها كأنهما قائمان في اقطار اوروبا ما بعد النهضة ، وما بعد نشوء الطبقة البرجوازية وما بعد الثورة الصناعية . مجتمع خام موزع ، مضطرب ،مائع ، ينطلق في كل اتجاه ، ولا ينطلق في أي اتجاه .هكذا رأيته أنا في اثناء دراستي له ، وهكذا رأيت وليد يعتبره دونما وعي منه . غير أنه بمثاليته العنيدة ، التي لم يتنازل عنها الا احيانا في احلك ساعاته بؤسا ، كان يريد لهذا المجتمع ان يحقق ذاته عن طريق العقل ، والحرية ، والابداع ، وهذه بعض الكلمات التي كانت تتردد على لسانه وقلمه اكثر من غيرها »(ص ٤٢ ــ ٤٣) .

ان هذا المقطع الطويل يفيدنا في ناحيتين :

أ ــ اعادة تقديم الوضع الاجتماعي للمجتمع العربي بالرؤية نفسها لشخصيات الروايات السابقة ، كما تقدم .

ب ــ القاء الضوء على شخصية « وليد مسعود »وعلى رؤيتها للخروج من هذا الوضع ، وهي كذلك رؤية شخصيات الروايات السابقة ، والتي هي رؤية البرجوازية التي ترفع مثل